مُصطلَحُ «المُطارَحَةِ»
أُصُولُهُ، وتَطَوُّرُهُ

د. يس أبو الهيجاء(*)

اجتَذبَ نَظرِي مَخطوطٌ لابنِ إياز البَغدادِيِّ مَوسومٌ بـ«بِقواعد المُطارَحَةِ»(١)، وهو عُنوانٌ طَرِيفٌ لا نَكادُ نَقعُ على مثلِهِ في التُّراثِ اللُّغويِّ.

ومن أوائلِ المصنّفاتِ المعجميَّةِ التي نقعُ فيها على ذكرٍ للمطارَحةِ «جَواهِرُ الألفاظِ» لِقُدامةَ بنِ جَعفرٍ الكاتبِ (ت٣٣٧هـ)؛ إذ ذَكَرَ بابًا من أَبوابِ «المخاصَمَةِ والمُشاقَّةِ»(٢)، جاءَ فِيهِ:«ما زالَ يُطارِحُهُ الكَلامَ وَيُراجِمُهُ أَشَدَّ مِن وَخْزِ السِّهامِ وَوَقْعِ الحُسامِ».

ومن قبلِ قُدامةَ بنِ جعفرٍ نَجِدُ هذهِ المادّةَ في مُعجَمِ «العَيْنِ»، إذ يمرُّ بها لِمامًا، وكلُّ ما اشتَمَلتْ عليهِ عِندَهُ : «طَرَحْتُ الشَّيْءَ فأَنا أَطْرَحُهُ طَرْحًا، والطِّرْحُ: الشَّيْءُ المطروحُ، لا حاجَةَ لأحَدٍ فيهِ. والطَّرُوحُ: البَعيدُ، نحوُ البَلْدةِ وما أَشبَهَها.

(*) باحث في علوم اللغة والتراث من الأردن.

(١) هو الحسين بن بدر بن إياز بن عبد الله البغدادي، نحوي من أهل بغداد، اشتغل بالمستنصرية حتى ترأّس مشيخة النّحو فيها، له «قواعد المطارحة»، و«المحصول في شرح الفصول»، و«الإسعاف في مسائل الخلاف» توفي سنة ٦٨١هـ.

(٢) جواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر: ٣٧٦.

وَجاءَ في «جَمهَرة اللغةِ» لابنِ دُرَيْدٍ (ت٣٢١هـ) في «بابِ ما جاءَ على أُفْعُولَةٍ»[٣]: أُطْرُوحَةٌ: مَسأَلةٌ يَطْرَحُها الرّجُلُ على الرَّجُلِ». وهذا مَعنًى- كما سنرى – مُستَحدَثٌ سجّلَهُ ابنُ دُرَيْدٍ.

والأزهريُّ (ت٣٧٠هـ) في «تهذيبِ اللّغةِ» يَعرِضُ لها بِشيءٍ من التّفصيلِ؛ إذ يَقولُ: «اللَّيثُ: طَرحْتُ الشّيءَ أطْرَحُهُ طَرْحًا. قال: والطِّرْحُ: الشيءُ المَطْروحُ لاحاجَةَ لأحدٍ فيهِ، والطَّرُوحُ من البلادِ: البَعِيدُ. أبو عُبَيد: الطَّرَحُ: البُعْدُ، وقال عُرامٌ: نِيَّةٌ طَوَحٌ وطَرَحٌ: أي بعيدةٌ. وقال غيره: قَوْسٌ طَرُوحٌ: يَبْعُد ذَهابُ سَهمِها. وقال الأصمعِيُّ: سَيْرٌ طُرَاحِيٌّ: شَديدٌ. ويُقالُ: طَرَحَ به الدَّهْرُ كُلَّ مَطْرحٍ إذا نأى به عن أهلِهِ وعَشيرتِهِ. ثَعلبٌ عن ابنِ الأَعرابيِّ: طَرِحَ الرّجلُ إذا ساءَ خُلُقُه، وطَرِحَ إذا تَنَعَّمَ تَنعُّمًا واسعًا».

وهنا نَرى أنّ ما ذَكَرَه قُدامةُ لم يَذكرْه صاحبُ «العَينِ»، ولا «الجمهَرةِ»، ولا «التّهذيبِ»، فهو انحرافٌ، لمّا يُلتفتْ إليهِ، وإنْ كانَ ابنُ دُريدٍ قَد وَقفَ على شيءٍ آخرَ مِنهُ، وهو ذكره للأطروحةِ.

وجاءَ الجَوهَرِيُّ (ت٣٩٣هـ) في «الصَّحاحِ» بما جاءَ بهِ الأزْهَرِيُّ، غَيرَ أنّه ذَكَرَ عِبارَةً مُنبتّةً، لم يقفْ عَليها الأزهري، وهيَ قَولُهُ[٤]:«ومُطارَحَةُ الكَلامِ مَعروفٌ»، وهوَ يُشيرُ - على الأغلبِ – إلى ما ذَكَرَه قُدامةُ آنفًا. ونَقلَ هذه العِبارةَ بِنَصِّها نَشوانُ

(٣) جمهرة اللغة، لابن دريد ٣/ ٣٧٩.

(٤) الصحاح: «طرح».

الحِمْيريُّ(ت٥٧٣هـ) في «شمَسِ العُلومِ» دُونَ أنْ يَقفَ عَليها أيضًا[٥]. وتَبِعَهُ الرازيُّ في «مختارِ الصَّحاحِ» (ت٦٦٦هـ) وابنُ مَنظورٍ(ت٧١١هـ) في «اللّسانِ». والفَيروزُ آبادِي (ت٨١٧هـ) في «القاموسِ»، والزَّبيديُّ(ت١٢٠٥هـ) في «التاجِ»[٦].

وَجَعلَ صانِعُو «المعجَمِ الوَسيطِ» مُطارَحةَ الكَلامِ على مَعنى المُحاوَرَةِ والمُبادَلَةِ، ولم يُشِيروا إلى أيٍّ مِن المعنَيَيْنِ السالِفينِ، وكَذا جاءَ في المُعجَمِ العَربيِّ الأساسِيِّ[٧]، وهذا الذي ذَكروه معنًى مُحدَثٌ. أمّا المُعجمُ الوَجِيزُ فَقد جاءَ فيهِ: «طارَحَهُ الحديثَ ونحوَه»: حاوَرَه وَبادَلَه. وَجاءَ في دائِرةِ مَعارِفِ القَرنِ العِشرينَ[٨]:«طارَحَهُ الكَلامَ: جاوَبَه وناظَرَهُ».

والخَلِيقُ بالذِّكرِ ههنا أنّ الرّازيَّ يُضِيءُ هذا المعنى في «مختارِ الصّحاحِ»؛ إذ يَذكرُ بوضوحٍ معنى المشاركة في هذا المصطلح؛ فَيقولُ:«المُطارَحَةُ إلقاءُ القَوْمِ المسَائِلَ بَعضُهُم على بَعْضٍ». وهذه أوّلُ إشارةٍ بيّنةٍ إلى استعمال مُصطلَحِ «المُطارَحَةِ» على هذا الوجْهِ، وهيَ أبينُ ممّا رأينا عِندَ الزّمخشَرِيِّ. وتنبّهَ إليهِ الزَّبيديُّ في «التاجِ»؛ فأورَدَ: «وتَطارَحُوا أَلْقَى بَعضُهَم المَسائِلَ على بَعضٍ».

مِرآةُ المصطَلَحِ:

إذا استَقرَأنا نُصوصَ كُتبِ التّراثِ، وقابَلنا ما جاءَ فِيها بما سَجَّلَهُ أربابُ المُعجماتِ، وجدْنا بادئًا أنّ استعمال مُصطَلَحِ «المطارَحَةِ» عَزيزٌ ما خلا ما جاءَ في

(٥) شمس العلوم لنشوان الحميري ٧/ ٤١٠٢.

(٦) مختار الصحاح واللسان والقاموس المحيط والتاج: «طرح».

(٧) المعجم العربي الأساسي «طرح».

(٨) دائرة معارف القرن العشرين ٥/ ٧٠٠.

كتابِ «الأغاني». ومن أوائلِ مَن نجدُهم يعرِضونَ لهذا المصطلَحِ أَشَجعُ السُّلَمِيُّ (ت١٩٥هـ)، إذ يَقولُ[٩]:

وَكَـأَنَّ صَـوتَ المـاءِ في حافاتِـهِ زَجـلُ القيـانِ تُطـارِحُ الأَصـواتا

وَيليهِ ما ذَكَرَ الجاحظُ(ت٢٥٥هـ) مِن مَعنى «المطارِحينَ» في «رسائِلِه»؛ إذ جاءَ في «كِتابِ القِيانِ» يَصِفُ القَيْنَةَ[١٠]: «ثم لا تَنفَكُّ من الدِّراسةِ لِصناعَتِها مُنكبَّةً عليها، تَأخذُ من «المطارِحينَ» الذين طَرْحُهُم كلُّه تَجْمِيشٌ[١١] وإنشادُهُم مُراوَدَةٌ». وما نَقَلَ عنه النُّوَيْرِيُّ (ت٧٣٣هـ) في «نهايةِ الأرَبِ»[١٢]: البُلبلُ مَوصُوفٌ بحُسنِ الصَّوتِ والحَنجَرَةِ. ومِن شَأنِهِ إذا كانَ غَيرَ حاذقٍ أنْ يُطارِحَهُ إنسانٌ بِشِكْلِ صَوتِهِ، فَيَتدَرّبُ ويَتعلّمُ ويَحسُنُ صَوتُهُ».

إنّ مُصطلَحَ «المُطارَحَةِ» كَما نَرى في هذهِ النُّصّوصِ هو مُصطلَحٌ غِنائيٌّ بَيِّنٌ، وهوَ – على الأغلَبِ – أوّلُ انحرافٍ يَدخلُ دائِرةَ المصطلَحِ من هذا المشتَقِّ، وقد ذَكرَه الأصفهانيُّ (ت٣٥٦هـ) في «الأغاني» كَثيرًا، ولم يَعرِضْ لِشيءٍ مِن معناه، نحو[١٣]: «حدّثني محمدُ بنُ عُمرَ الخرّازِ ، قالَ: قالَ لِيَ ابنُ مُناذرٍ: وَيحكَ! لَستُ أَرى نِساءَ ثَقيفٍ يَنُحْنَ على عَبدِ المجيدِ نِياحَةً على استِواءٍ، قُلتُ: فَما تُحِبُّ؟ قالَ: تخرُجُ مَعي حتى

(٩) ينظر: أشجع السلمي، حياته وشعره: ١٩٤. ومحاضرات الأدباء ٤/ ٤٥٢.

(١٠) رسائل الجاحظ ٢/ ١٧٦.

(١١) التجميش: المغازلة.

(١٢) نهاية الأرَب ١٠/ ١٥٣-١٥٤.

(١٣) الأغاني ١٨/ ١٨٤.

أُطارِحَكَ، فَطارَحَني القَصِيدَةَ التي يَقولُ فِيها:

إنَّ عَبــدَ المجيــدِ يَــومَ تــَولّى هَــدَّ رُكْنًــا مــا كــانَ بالمهــدُودِ

هَدَّ عَبدُ المجيدِ رُكْني وَقَد كُنْـ ـتُ بِــرُكْنٍ أَبــوْءُ مِنْــهُ شَدِيــدِ

قالَ: فما زِلْتُ حتى حَفِظتُها وَوَعَيْتُها، وَوَضعنا فِيها لَحْنًا، فَلمّا كانَ في الّليلةِ التي يُناحُ بها على عَبدِ المجيدِ فيها، صَلّينا العِشاءَ الآخرَةَ في المَسجِدِ الجامِعِ، ثم خَرَجْنا إلى دارِهِم، وَقد صَعِدَ النساءُ على السَّطحِ يَنُحْنَ عَليهِ، فَسَكَتْنَ سَكْتَةً لَهُنَّ، فاندَفَعنا أنا وَهوَ نَنوحُ عليهِ، فَلمّا سَمِعْنَنا أَقبَلْنَ يَلْطِمْنَ وَيَصِحْنَ، حتى كِدْنَ يَنقَلِبنَ مِن السّطحِ إلى أَسفَلَ، مِن شِدَّةِ تَشَرُّفِهنَّ علينا، وإعجابِهنَّ بما سَمِعنَه مِنّا».

وعلى طُولِ هذا النّصِّ، فإنّه يُظهِرُ مَفهومَ المُطارَحَةِ مُصطَلَحًا غِنائيًّا. ولم نَرَ أَحدًا تَعرَّضَ له ما خلا الزّمَخْشَرِيَّ، الذي التقطَ هذا المُصطلَحَ وسَجَّلَهُ، ولم يَخْلُ كَلامُهُ مِن غُموضٍ، فَقد رأيناهُ يَقولُ: «وطارَحتُهُ العِلمَ والغِناءَ وتَطارَحْناهُ»، ولا يُقْبَلُ هذا الجمْعُ بينَ مُطارَحَةِ العِلمِ ومُطارَحَةِ الغِناءِ إلاّ تجوّزًا، إنْ سلَّمْنا بِدِقّةِ نَقْلِ هذا النصِّ عَن الزَّمخشَرِيِّ.

وَقد أَخذَ عَبدُ الله البُستانيُّ عِبارَةَ الزّمخشَرِيِّ فزادَها التِباسًا؛ إذ قالَ في «البُستانِ»: «تَطارَحُوا: أَلقَى بَعضُهم مَسائِلَ العِلمِ والغَناءِ على بَعضٍ». وجاءَ العَلاّمَةُ سَعيدُ الشَّرتُونيّ في «ذَيْلِ أَقْرَبِ المَوارِدِ» فَزادَ الأمرَ التِباسًا فَوقَ التِباسٍ؛ فَقالَ(١٤):«طارَحَهُ الكَلامَ والشِّعرَ والغِناءَ مُطارَحَةً ناظَرَهُ وَجاوَبَهُ، وأَلْقى كُلٌّ مِنهم الأسئِلَةَ على الآخَرِ، وتَطارَحْنا العِلمَ والغِناءَ: ألقى بَعضُنا مَسائِلَ العِلمِ

(١٤) ذيل أقرب الموارد «طرح».

والغِناءِ على بَعضٍ». وهذا خَلْطٌ شَدِيدٌ لهذهِ المصطلَحاتِ، واختِصارٌ مُخِلٌّ لِمفاهِيمِها. ولَسْنا نَدْري ما مَسائِلُ الغِناءِ التي يُتَطارَحُ فيها؟! إلا إنْ كانا قَرَأا عِبارَةَ الزّمخشَرِيِّ فالتبَسَ عليهما المعنى، وهوَ الظَّاهِرُ.

ولا نَقَعُ على مَن وَقفَ على هذا المصطلَحِ بَعدَ الزّمخشريِّ، إلاّ ما ذَكَره رِينهارْت دُوزِي (ت١٨٨٣م)؛ إذ فَسَّرَ[١٥]: «طارَحَه الغِناءَ» بـ: «علَّمَهُ لحنًا مِن الغِناءِ»، وهذا - فيما أرى- بَعضُ مَفهومِ هذا المصطلَحِ، فالمُطارَحَةُ - مُصطلَحًا غِنائيًّا- يمكنُ استِنتاجُ دَلالتِها مِن النُّصوصِ المتقدِّمة الذِّكْرِ على أنها تَعني: التّلْحينَ والمُحاكاةَ والتَّرْدادَ، وهيَ مَعانٍ ظاهِرَةٌ في كُلِّ النُّصوصِ التي حَشَدَها الأصفَهانيُّ[١٦]. وذَكَرَ منها أيضًا القاضِي التّنوخِيُّ(ت٣٨٤هـ) في «نِشْوارِ المحاضَرَةِ[١٧]. وَقد جَعَلَ دُوزِي «المُطارِحَ» المُغَنِّي؛ إذ قالَ[١٨]:و«مُطارِحٌ» التي وَرَدَت في بَيتٍ ذَكَرَه المقَّرِيُّ لا يمكِنُ أنْ تُتَرجَمَ إلا بما مَعناه «مُغنٍّ»، وَهو يَعني ما رَواهُ المقَّريّ مِن قَولِ الرَّصافيِّ[١٩]:

و«مُطارِحٍ» مما تَجُسُّ بَنانُهُ لَحْنًا أفاضَ عَليهِ ماءَ وَقارِهِ
يَثني الحَمامَ فلا يَروحُ لِوَكْرِهِ طَرَبًا، وَرِزْقُ بَنِيهِ في مِنْقارِهِ

(١٥) تكملة المعاجم العربية ٧/ ٣١.

(١٦) ينظر الأغاني: طارح: ١٥/ ٣٤٨، طارحها: ٨/ ٣٦٣، طارحته: ٨/ ٣٦٣...

(١٧) نشوار المحاضرة ٧/ ١٣١.

(١٨) تكملة المعاجم العربية: ٧/ ٣١.

(١٩) نفح الطيب ٤/ ١٣٨.

وَكلامُ دُوزِي دَقيقٌ إلى حَدٍّ بَعيدٍ، وهوَ يَنطلقُ ههنا مِن نَظَرٍ تَطبيقيٍّ إلى هذا المُصطلَحِ.

والجاذبُ لِلنَّظَرِ أنَّ مُصَنِّفي الكُتُبِ التي عَرَضَتْ لِلموسِيقا العَرَبيّةِ والغناء وأرَّخَت لها وَلِنَشأتها، ولفنونها وَمُصطلَحاتها – فيما اطّلعْتُ عَليهِ- مُنذُ العَصرِ الجاهِلِيِّ لم يَتَوَقّفوا عِندَ هذا المصطَلحِ، على قِدَمِهِ وأصالَتِهِ[٢٠]. وعلى رأس هؤلاء المحقق أحمد تيمور[٢١] في مصنفه «الموسيقا والغناء عند العرب»، وألمّ بِهِ «مُعجَمُ المُوسيقَا العَربيّةِ»، ولم يَتوَقّفْ عَليهِ[٢٢].

ولَعلَّ هذا المُصطلَحَ الغِنائِيَّ بُنيَ على ما ذَكرَه أبو الحَسنِ الهُنائِيّ(ت٣١٠هـ) في «المُنَجَّدِ في اللّغةِ»[٢٣]، والصاحِبُ ابنُ عَبّادٍ(ت٣٨٥هـ) في «المحيطِ في اللّغةِ»[٢٤]، والجَوهَريُّ (ت٣٩٣هـ) في «الصَّحاحِ»[٢٥] من مَعنى «التَّطْريحِ» في خَببِ الفَرَسِ، وهوَ بُعْدُ القَدْرِ في الأرْضِ، وما يَحمِلُ هذا المفهومُ مِن الإيقاعِ والتِّكْرارِ.

(٢٠) ينظر: تاريخ الموسيقا في الجزيرة العربية والأندلس، و«تاريخ الموسيقا العربية حتى القرن الثالث عشر الميلادي»، و«موجز تاريخ الموسيقا والغناء العربي».

(٢١) ينظر: الموسيقا والغناء عند العرب: ٦٥، ١٦٦.

(٢٢) معجم الموسيقا العربية: ٩٨.

(٢٣) المُنْجِد في اللغة: ١٥١.

(٢٤) المحيط في اللغة: «طرح».

(٢٥) الصحاح: «طرد».

ونَرى عِندَ إبراهيمَ البَيْهَقِيِّ (ت٣٢٠هـ) في «المحاسِنِ والمساوِئِ» مَفهومًا جَديدًا لـ«المُطارَحَةِ»؛ إذ يَروي[٢٦]: «ثم اتَّخذَ الرّشِيدُ الحَسَنَ الُّلؤلُؤيَّ بَعدَ أبي محمدٍ اليَزيديِّ على المأمونِ، فَبَيْنا هوَ يُطارِحُه شَيئًا من الفِقهِ إذ نَعَسَ المأمونُ. فقالَ لَه الّلؤلُؤيّ: نِمتَ أَيُّها الأمِيرُ! فَقالَ المأمونُ: سُوقِيٌّ وَرَبِّ الكَعْبةِ! خُذوا بِيدِهِ». وَيَبدو بَيّنًا أَنّ «المُطارَحَةَ» ههنا إنما هيَ مِن بابِ إلقاءِ المسائِلِ.

وَنجدُ هذا المفهومَ على لِسانِ القاضِي الجُرْجانيِّ (ت٣٦٦هـ)؛ إذ يَقولُ في مَعرِضِ كَلامِهِ على أبي تمّامٍ[٢٧]: «ولو كانَ التّعقِيدُ وَغُموضُ المعنى يُسقطانِ شاعِرًا لَوَجَب ألّا يُرى لأبي تمامٍ بَيتٌ واحِدٌ؛ فإنّا لا نَعلَمُ له قَصِيدَةً تَسلَمُ مِن بَيتٍ أو بَيتينِ قد وَفَرَ من التّعقيدِ حَظُّهُما؛ وأُفسِدَ بِه لَفظُهُما، ولِذلكَ كَثُرَ الاختِلافُ في مَعانِيهِ، وَصارَ استِخراجُها بابًا مُنفردًا؛ يَنتَسِبُ إليهِ طائفةٌ من أهلِ الأدَبِ، وصارَتْ تُتطارَحُ في المجالسِ مُطارَحَةَ أبياتِ المعاني، وأَلغازِ المُعمّى». «والمطارَحَةُ» هَهنا أَيضًا هي مِن بابِ إلقاءِ المسائِلِ، وقد رأيناهُ يجعَلُها تتّسعُ لِتستَوعبَ الألغازَ.

وَنَرى نصًّا ثالثًا لأسامَةَ بنِ مُنقِذٍ(ت٥٨٤هـ) في كِتابِهِ «البَديع في نَقدِ الشِّعرِ»؛ إذْ يَذكُرُ «بابَ الالتِقاطِ»؛ فَيقولُ[٢٨]: «اعلَمْ أنَّ «الالتِقاطَ» هو ما

(٢٦) المحاسن والمساوئ: ٦٤٢.

(٢٧) الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٤١٧.

(٢٨) البديع في نقد الشعر: ٢٨٨.

يَتَطارَحَهُ العُلماءُ والشُّعراءُ والكُتّابُ بَينَهم، وهو أنْ يُطرَحَ بَيتٌ ويُولَّدَ مِن كُلِّ كَلمة مِنهُ بَيتٌ، أو مِن كَلِمَتينِ، أو ثَلاثةٍ أو غير ذلكَ، مثلَ ما ذَكَرَ في كِتابِ الصناعتينِ التّلفيقَ والالتِقاطَ، وهو أنْ يَكونَ البيتُ مُلفَّقًا من أبياتٍ قَبلَهُ». والمطارَحَةُ هَهنا أيضًا تَحملُ المَفهومَ نَفسَهُ الذي وَردَ في النَّصّينِ السابِقينِ. فَهيَ نمطٌ مِن الحِوارِ، أو فَلْنقُلْ مِن الحِوارِ الملَحَقِ بمصطلَحاتِ الحِجَاجِ، وإنْ لم تَكُنْ في صُلْبِها؛ لأنها تَتناولُ الشَّكلَ الذي يَقومُ عليهِ الحِوارُ لا مَضمونَهُ كالمغالطَةِ وَنحوِها.

وإذا عُدْنا إلى المُعجَماتِ رَأيْنا أنّ أوّلَ مَن سَجّلَ هذا المفهومَ لـ «المطارحَةِ» إنما هو ابنُ سِيدَه في «المُحْكَم»، ولَئِن قالَ ابنُ سِيدَه «وأراهُ مُوَلَّدًا»، وَتُنوقِلَ ذلكَ عَنهُ، فَنحنُ نَقولُ: هوَ مُولَّدٌ يَقينًا، وَيبدُو أنّه ظَهرَ بَعدَ القَرنِ الثالثِ، وَلَعلَّ في هَذهِ النُّصوصِ إشارَةً إلى ذلكَ. ومِن المُرجّحِ أيضًا – كَما ذُكِرَ- أنّ «المطارَحَةَ» – مُصطلَحًا غِنائيًّا – أَسبقُ مِن هذا المفهومِ الذي ذَكَرهُ ابنُ سِيدَه، فَنجومُ الغِناءِ أَسبَقُ من بُزوغِ النّشاطِ العِلمِيِّ، وإنْ كانَ المصطَلَحُ بهذه الدِّلالةِ وهذا المفهومِ قد شَهِدَ اضمِحلالاً وانحسارًا، ولم نَرَ أحَدًا من أصحابِ المعجماتِ يَلتفِتُ إليهِ قَبلَ الزّمخشَرِيِّ، ولا بَعدَه، إلا ما وَجَدنا عِندَ المحدثِينَ. فإنّ المصنّفاتِ في الغِناءِ وَفنونِهِ بَقِيتْ مَحدُودَةً، والسّبَبُ جَلِيٌّ. وقد قالَ بُطرسُ البُستانيُّ في «مُحيطِ المحيطِ»[٢٩]: «وأصلُ المُطارَحَةِ في الغِناءِ»، ولم يُعقِّبْ، ولم يَقِفْ على دواعي هذهِ العِبارةِ.

(٢٩) محيط المحيط: «طرح».

وَقد ذَكرَ أبو حيّانَ التَّوحِيدِيُّ مَعنًى لـ«لمطارَحَةِ» لم تَقفْ عليهِ المُعجَماتُ القَديمةُ ولا الحَدِيثةُ، إذ قالَ في «الإمتاعِ والمؤَانَسَةِ»(٣٠): «هذا مِن الفَوائِدِ التي كُنتُ أَحِنُّ إليها، وأستَبعِدُ الظَّفرَ بها، وما أَنفَعَ المطارَحَةَ والمفاتَحَةَ وَبَثَّ الشّكِ واستِباحَةَ النَّفسِ، فإنَّ التّغافلَ عمّا تمَسُّ إليهِ الحاجَةُ سُوءُ اختِيارٍ،بَل سُوءُ تَوْفيقٍ». فـ«المطارَحَةُ» ههنا تَعني بَثَّ ما في النّفسِ، ومُفاتحةَ الأقرانِ بما يُخالِجُها. وذَكَرَ هذا المَعنى من المتَأَخِّرين المقَّريُّ (ت١٠٤١هـ) في «نَفْحِ الطِّيبِ»؛ إذ قالَ(٣١): «وإنما قَصدْتُ بالمعاتَبَةِ ما تحتَها مِن المطارَحَةِ والمداعَبَةِ».

ولم يُكْتَبْ لـ«مُطارَحَةِ» من هذهِ المعاني المذكورَةِ الذّيوعُ والسَّيرورةُ إلا مَعنى إلقاءِ المسائِلِ. ولم يَقِفْ الأمرُ عِندَ هذا، بل جَعلَ المتَأخّرونَ مِن هذا المشتَقِّ فَنًّا، وأقْبَلوا عَليهِ. ويَبدو أنَّ أولَ شُيوعِ هذا المصْطلَحِ في التآليفِ الفِقهِيّةِ، والمنطقية، وما تفضي إليه من المسائِلِ، وقد رأيْنا شيئًا مِن ذلكَ في نَصِّ البَيهقيِّ.

وجاءَ في «أبجدِ العُلُومِ»: «ولِلشيْخِ العالمِ بُرهانِ الإسلامِ الزَّرْنوجِيِّ(ت٦١٠هـ) كِتابٌ سَمّاهُ» تَعلِيمَ المتعلِّمِ طَريقَ التَّعَلُّمِ «وَجعلَهُ فُصولاً، وممّا جاءَ فيهِ: ولا بُدَّ مِن المُذاكَرَةِ والمُناظَرَةِ والمُطارَحَةِ ...، قِيلَ: مُطارَحَةُ ساعَةٍ خيرٌ مِن تَكرارِ شَهرٍ».(٣٢)

وذَكرَ بَدرُ الدِّين الزَّرْكَشِيُّ(ت٧٩٤هـ) في مُصنَّفِهِ «المنْثورِ في القواعِدِ» أنواعَ

(٣٠) الإمتاع والمؤانسة: ٢/ ١١٤.

(٣١) نفح الطيب: ٤/ ١٩٤.

(٣٢) كشف الظنون٢/ ١٢٥٧، وينظر: أبجد العلوم ١/ ١٣٠-١٣٢، وانظر١/ ٢٤٣.

الفِقهِ، فأحصى مِنها عَشَرةً، جَعلَ رابِعَها «المطارَحات»، وعَرَّفَها بأنها مَسائِلُ عَويصَةٌ يُقصَدُ بها تَنقيحُ الأذهانِ(٣٣). وَجاءَ في كَشفِ الظّنُونِ: «ذَكَرَ الإسْنويُّ(ت٧٧٢هـ)(٣٤) في «مَطالعِ الدَّقائِقِ»: أنّ المطارَحةَ بالمسائِلِ ذَواتِ المآخِذِ المؤْتَلِفَةِ المتّفِقَةِ، والأجْوِبَةِ المخْتَلِفَةِ المفترِقَةِ مما تُثيرُ أَفكارَ العُلَماءِ، قالَ : وقد رَأيتُ لأصْحابِنا في هذا المعنى تَصانِيفَ، ذَكرَ مِنها: «كِتاب المُطارَحاتِ» لأبي عَبد الله : محمّدِ بنِ أحمدَ القطّانِ (ت٤٠٧هـ). وممّا ذَكَرهُ أيضًا صاحِبُ «كَشف الظُّنونِ» «كِتابُ المطارَحاتِ» لأبي عَبد الله حُسينِ بنِ القَطّانِ الشّافِعيِّ(ت٤٢٠هـ)، وَضعَهُ للامتِحانِ، يَتَطارَحُ به الفُقَهاءُ عِندَ اجتِماعِهِم، و«المطارحاتُ في المنْطِقِ والحِكمةِ»، لأبي الفُتُوحِ شِهابِ الدّينِ السّهْرَوَرْدِيّ (ت٥٨٧هـ)(٣٥)، وذَكرَ لهُ صاحبُ «أبجدِ العُلومِ» «التّلوِيحاتِ والمطارَحاتِ» في المنطِقِ(٣٦). كما ذَكَرَ صاحب كشف الظنون كِتابَ «جامِعِ المبادِئِ والغاياتِ في عِلمِ المِيقاتِ» لأبي عَلِيٍّ المُرّاكشِيّ(ت٦٧٤هـ)، وَهو – على ما قالَ- أعْظمُ ما صُنِّفَ في هذا الفنِ، وقد رَتَّبَهُ مُصَنِّفُهُ على أَرْبَعةِ فُنونٍ، الرّابعُ مِنها في المطارَحاتِ؛ لِتَحصُلَ بها الدُّربةُ والقُوّةُ على الاستِنباطِ(٣٧).

---

(٣٣) المنثور في القواعد ١/ ١٢-١٣.

(٣٤) هو جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي، فقيه أصوليّ، انتهت إليه رئاسة الشافعية في عصره، توفي سنة٧٧٢هـ.

(٣٥) ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي: ٤١/ ٢٨٦.

(٣٦) أبجد العلوم: ٢/ ٥٢٩.

(٣٧) كشف الظنون: ١/ ٥٧٢.

وَنقِفُ ههنا على مُصنَّفِ ابنِ إيازَ «قَواعِدِ المطارَحَةِ» المذكورِ آنفًا. وإنّما نتوقّف على هذا الكتابِ، لِمعرِفَةِ شَيءٍ عن المنهَجِ التّطبيقيِّ في استعمال هذا المصطلَحِ، فَهوَ مَنهجٌ فَريدٌ في التّصنيفِ اللُّغَويِّ. وابنُ إياز بادئًا لا يُوَطِّئُ لِكِتابِهِ بمقَدّمَةٍ يُوضِّحُ فيها شَيئًا عَن استعمالِهِ لهذا المصطَلَحِ، إلا ما كانَ من قَولِهِ في المقَدّمَةِ المقْتَضَبَةِ(٣٨): «فلمْ يَزَلْ يَعْتَلِجُ في صَدْرِي، ويَتردّدُ في فِكْري... أنْ أَضَعَ كتابًا في قَواعِدِ المُطارَحَةِ، وأَنصَحَ فيه الطالِبِينَ حَقَّ المُناصَحَةِ، وأُرَتّبَهُ ترتيبًا يُقرَّبُ بِه نَفْعُه». وقد استعمل هذا المصطلحَ في مُصَنَّفِهِ مَرَّةً واحِدَةً، جاءَ فيها على صُورَةِ اسمِ الفاعِلِ المجموع؛ إذ قالَ في تَعلِيقٍ لهُ على كَلامٍ لابنِ جني(٣٩): «وَهوَ تَجَوّزٌ، ويَكثُرُ ذلكَ في عِبارَةِ المُطارِحِينَ». ومصطلح «المطارحين» يَشِي بِشِيوعِ هذا النّمَطِ مِن الحِوارِ إبّانَ عَهدِ ابنِ إياز، وَبِوُجودِ مَن عُرِفَ بمزاوَلَةِ هذا الفَنِّ.

وهو يَبنِي مَنهجَهُ في هذا الكِتابِ على مَفهومِ «المطارَحَةِ» في إلقاءِ المسائلِ، وهو يَعني بها - كَما هو مَوجودٌ في كِتابِه- تَداوُلَ طَرْحِ الأسئلَةِ في الموضُوعاتِ النّحوِيّةِ أو الصَّرفِيَةِ التي يَخوضُ فِيها، وهي أَسئلةٌ مُفتَرضةٌ، تَخطُرُ بِبالِ القارِئِ،

(٣٨) «قواعد المطارحة» كتاب مخطوط، وهو أيضًا في نسخة «القواعد في النحو»، للحسين بن بدر بن إياز بن عبد الله البغدادي، وهو ثلاث صور محفوظة في مركز المخطوطات في معهد إحياء التراث التابع لجامعة أم القرى، والتوثيق من النسخة الأصل، وهي نسخة محفوظة في دار الكتب المصرية برقم «٢٢»: (ظ١).

(٣٩) قواعد المطارحة: (ظ٢٩).

فَيُبادِرُ إلى طَرْحِها، في أُسلُوبٍ حِوارِيٍّ. وَيَتَضَمّنُ مَعنى «المطارحَةِ» في مصنَّفِهِ الامتِحانَ أيضًا؛ إذ السؤالُ قائِمٌ على امتِحانِ المسْؤُولِ، ومَعرِفَةِ رَدّهِ، وَمِقدارِ عِلمِهِ. وهوَ يَشتَجِرُ في كَثيرٍ مِن وُجوهِهِ مَعَ مُصطلَحٍ يُقارِبُه، وَهو مُتأخّرٌ أيضًا، ألا وَهوَ مُصطلَحُ «المُفاتَشَةِ»(٤٠)، الذي يَقُومُ على سَبْرِ غَوْرِ الخَصمِ، ومَعرفةِ حُدودِ عِلمِهِ ومعرفتِه.

والكِتابُ - كَما يَذكُرُ المؤَلِّفُ - نَسيجُ وَحدِهِ؛ إذ يَقولُ في المقدّمَةِ: «ويَبسُطُ عُذرِيْ في تَقْصيرٍ يَقَعُ، أنّه تأليْفٌ مُخْتَرَعٌ، ونَمَطٌ أنا فيه مُتّبَعٌ». وابنُ إياز يَعني بهذا النَّمطِ المبتَدَعِ شَيئينِ؛ الأوّلُ: عِلمُ النّحوِ بِوَجهٍ خاصٍّ، والثّاني: مَنهَجُهُ في التَأليفِ في هذا المَوْضوعِ، وإلا فَقد رَأينا أنّه مَسبوق في مَسأَلةِ «المطارَحاتِ» بِتصانِيفِ الفِقهِ، والمنطِقِ. بل هوَ يحتذي تَصانيفَ الفِقهِ، في هذا النَّمَطِ، وقد رَأينا كَلامَ الزَّرْكَشيِّ آنفًا. وهوَ يَصِفُ مَنهَجَه في تأليفِ مُصَنَّفِه هذا بكلماتٍ مَعدوداتٍ وَحَسْبُ؛ إذ يَقول(٤١): «وَقد وَضَعتُهُ على خَمْسِ مُقَدِّماتٍ ونَتيجةٍ». وهذه المقَدّماتُ الخَمسُ، وما تلاها من نَتيجَةٍ قائِمةٌ على مَفهومِ «المطارَحَةِ» من إلقاءِ الأسئِلَةِ، والرَّدِ عَليها.

ونذكر ههنا نموذجًا مِن مَنهجِ ابنِ إياز في مُصنَّفِه، إذا جاءَ في كلامِه على أَسماءِ الأفعالِ(٤٢): ... فَإنْ قِيلَ: فإذا كَانتْ أَسمَاءً فكيفَ دَلّتْ عَلى الزَّمانِ المُحَصَّلِ؟ أجبتُ: حَصَلَ ذلكَ لها بِالنِّيابَةِ، لا باسمِيَّتِها المُطلَقَةِ. فإن قِيلَ: فَما الأكثَرُ فِيها هل

(٤٠) ينظر: الفرج بعد الشدّة ٣/ ٢٦٠، والفصول والغايات: ٩٥، ومجمع الأمثال للميداني ٣/ ٣٦٩. والوافي بالوفيات: ٧/ ٣٦٣.

(٤١) قواعد المطارحة: (ظ١).

(٤٢) قواعد المطارحة: (و١٣).

الأمْرُ أو الخَبرُ؟ أجَبتُ: بأنّ الأمْرَ هو الكَثيرُ؛ وذلكَ لأنّهُم يَستَغنُونَ فيهِ عَن الفِعلِ الصَّرِيحِ فَيُسقِطُونَهُ بِغَيرِ عِوَضٍ، كَقَولِكَ: لِمَن أشَالَ السَّوْطَ: (زَيدًا)، ولِمَن وضَعَ يَدَه على ما تُرِيدُهُ: (يَدَكَ)، تُريد: «اضْرِبْ»، و«ارْفَعْ». والخَبَرُ لَيسَ كَذلكَ. فإنْ قِيلَ: فَلِمَ بُنِيتْ؟ أَجبْتُ: لِوقُوعِها مَوقِعَ فِعلِ الأمرِ أو المَاضِي.

وليس ثمةَ مُصنّفٌ في عُلومِ اللّغَةِ - فيما وَقَعتُ عليهِ- نَحا مَنحى ابنِ إياز في مَنهَجِهِ، أو عُنوانِ مُصنَّفِهِ. إلا أنَّ السُّيوطِيَّ بنى كِتابَه «الأشباهِ والنظائِرِ» على سَبعَةِ فُنونٍ، جَعَلَ الخامِسَ مِنها «في الألغازِ والأحاجِيّ والمطارَحاتِ والمُمْتَحِنات»، وأردَفَ قائِلاً: «جَمَعتُها كُلّها في فَنٍّ؛ لأنها مُتَقارِبَةٍ»[٤٣]. وَهوَ يَسِمُ هذا البابَ كُلَّه بـ «الطِّرازِ في الألغازِ». والذي يَخلُقُ التَّوقّفُ عَليهِ ما ذَكَره السُّيوطِيُّ في المقدّمَةِ مِن سَبَبِ تَأليفِ الكِتابِ؛ إذ يَقولُ[٤٤]: «واعلَمْ أنّ السَّبَبَ الحامِلَ على تَأليفِ ذلكَ الكِتابِ الأوّلِ أنّي قَصدتُ أنْ أسلَكَ في العَرَبيَّةِ سَبيلَ الفِقهِ، فِيما صَنَعَهُ المتأخّرون فيهِ، وألّفوهُ مِن كُتُبِ الأشباهِ والنّظائِرِ... وأوّلُ مَن فَتحَ هذا البابَ سُلطانُ العُلماءِ شَيخُ الإسلامِ عِزُّ الدّينِ بنُ عَبدِ السّلامِ». وهذا لا يَدعُ مجالاً لِلشَكِّ بأنَّ هذا المصطلَحَ، على هذهِ الدِّلالَةِ فِقْهيُّ الأصْلِ.

وَمنَ الجديرِ بالذِّكرِ أنَّ ثمةَ مُصطلَحًا متأخّرًا مَنحُوتًا يُفضي إلى هذا المصطلَحِ، وإنْ لم تُكتَبْ له الشُّهرَةُ والذّيوعُ، وهو «الفَنْقَلَةُ»[٤٥] وَهو يَقومُ على

(٤٣) الأشباه والنظائر في النحو ١/ ٣-٤.

(٤٤) نفسه: ٤-٥.

(٤٥) ينظر: مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح: ٢٩٤. والمصطلحات العلمية، لشوقي ضيف، مجلة مجمع القاهرة، عدد ٨١، والمعجزات والغيبيات ٢١/ ٤٤٣.

مَبدَأِ السُّؤالِ والإجابَةِ؛ فـ«**الفَنْقَلَةُ**» مَنْحوتَةٌ مِن قَولِهم: **فإنْ قُلتَ كَذا**... قُلتُ كَذا... . وقد بنى أبو البركات الأنباري (٥٧٧هـ) كتابه «أسرار العربية» على نمط «الفنقلة»، على أنه لا يشير في مقدّمته القصيرة إلى شيء من هذه المصطلحات.

ونرى هذا المصطلحَ يأخذُ وَجهًا أدَبيًا عِندَ المتَأخّرينَ، وإنْ لم يَسبِقوا إليهِ، إلا أنهم أذاعُوه، وأكثَروا من استعمالِهِ، وهو عِندَهُم يَتَعلَّقُ بالشِّعرِ بِوجْهٍ خاصٍّ؛ إذ نَراهُ يَكثُرُ في مُصنّفاتهم، يَصِفونَ فِيه نمطًا مِن المحاوَراتِ الشّعْريَّةِ، تُظهِرُ مَقدِرَةَ كُلٍّ مِنَ المتَحاوِرَينِ على ارتجالِ أبياتٍ يَرُدُّ فيها على مُحاوِرِهِ، كِفاحًا أو مُراسَلَةً، وأَقلُّ مِن ذلكَ ما جاءَ نَثرًا وترسّلاً[٤٦].

على أنّ هذا المفهومَ لم يَكُنْ غائبًا عِندَ الأقدَمينَ، بل هوَ مُوغِلٌ في القِدَمِ، ولَعَلَّ مِن أوائِلِ ما جاء من ذلكَ ما رُوِيَ عن امرِئِ القَيْسِ وَعَبيدِ بنِ الأبْرَصِ، التي بَدَأها عَبيدٌ بقولِهِ[٤٧]:

ما حَبّةٌ مَيْتَةٌ أَحيَتْ بِمِيتتِها دَردَاءُ ما أَنْبَتتْ سِنًّا وأَضْراسا

فأجابَ امرُؤُ القَيسِ:

تلكَ الشَّعِيرَةُ تُسقَى في سنابِلِها فأَخرَجتْ بَعد طُولِ المُكثِ أَكْداسا

غيرَ أنّ الكثيرَ مِن هذا عِندَهم مَوسُوم بما يُسمُّونَه «المساجَلَةَ»[٤٨] التي تَقومُ على المُفاخَرَةِ، والمباراةِ، وكثيرًا ما تَكونُ بِقَصيدَةٍ كامِلَةٍ. ومنها أيضًا ما يُسمّونَه

(٤٦) ينظر: مجمع الزوائد ٨/ ١٢١، والدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ١/ ١، ٢٢٦/ ٣٥١. والضوء اللامع ١/ ١٤٩.

(٤٧) ينظر: ديوان امرئ القيس، واللسان «مجس».

(٤٨) انظر البيان والتبيين ٣/ ٦.

المعاياةَ[٤٩]، وإنْ كانتْ هذه في الأصلِ مِن بابِ التَّعمِيَةِ والألغازِ. ومِنها أَيضًا ما يَذكُرونَه من الإجازَةِ[٥٠]. وإنْ كانت الإجازَةُ تَقومُ على بَيتٍ أو أبياتٍ تَبدو ناقصةَ المعنى، فَيقومُ المجيزُ بإكمالِها. جاءَ في الأغانيّ: «حَدّثنا أبو زَيدٍ عن أحمدَ بنِ مُعاويةَ: قالَ: قالَ لي رَجلٌ: تَصفّحتُ كُتَباً، فَوجَدتُ فِيها بَيتًا جَهِدتُ جَهدِي أَنْ أَجدَ مَن يجُيزُهُ، فلم أَجِدْ، فَقالَ لي صَديقٌ: عَليكَ بعنانَ جَاريةِ النّاطِفِيِّ، فَجِئتُها فأنشدتُها:

وما زالَ يَشكُو الحبَّ حتى رَأيتُهُ تَـــنَفّسَ في أَحـــشائِه وتَكلَّـــما

فَما لَبِثت أنْ قالتْ:

وَيَبكِـي فـأَبكي رَحمـةً لِبُكائِـهِ إذا مـا بَكَـى دَمعًـا بَكيـتُ لـه دَمَـا

وَينَظِمُها جميعًا أنها قائِمةٌ في أَصْلِ وضعها على المحاوَرَةِ، والرَّدِ. على أنّ «المطارَحَةَ الأدبيَّةَ» أَوسعُ فَضاءً مِن ذلكَ، وأنَّ الجانبَ الشِّعريَّ مِنها - وَهوُ الكَثرةُ الكاثِرَةُ مِن المطارَحاتِ- يحكُمُهُ إطارٌ واحدٌ، بل إنَّ جلَّ المطارَحاتِ الشِّعريَّةِ تُؤلِّف في نهايةِ الأمْرِ ما يُشبِهُ القَصِيدَةَ الواحِدَةَ.

وَقَد جَعَلَ المتأخِّرونَ مِن «المطارَحَةِ الأدَبيَّةِ» فنًّا مُستَقلاً، وأَكثَروا مِنهُ. بل إنّنا نجدُ مَن صَنَّفَ فِيهِ، فَقدْ جَمَعَ الطّالَويُّ (ت ١٠١٤هـ) شِعرَهُ وَتَرسّلاتِهِ في كِتابٍ سمَّاهُ «سانِحاتِ دُمَى القَصْرِ في مُطارَحاتِ بني العَصْرِ»[٥١]. كَما جَمَعَ ابنُ الملا

(٤٩) الأغاني: ٢٣/ ٩٥، والتاج «عوي».

(٥٠) انظر: الأغاني ٢٣/ ٩٤.

(٥١) وهو درويش بن محمد الطالوي، أديب دمشقي، له شعر وترسّل، توفي سنة ١٠١٤هـ، ينظر: خلاصة الأثر: ١/ ٤١٣، وإيضاح المكنون ٣/ ٦٢١، والأعلام: ٢/ ٣٣٨.

الحَلبيّ (ت١٠٢٠هـ) مَكتوباتِهِ وَمُطارَحاتِه مَعَ أَبناءِ عَصرِهِ وَوَسمَها بـ«حَلْبَةِ المفاضَلَةِ وَحِلْيَةِ المناضَلَةِ في المطارَحَةِ والمراسَلَةِ»(٥٢).

فالمطارَحَةُ الأدَبيّةُ ليستْ مِن قَبيلِ المطارَحَةِ الفِقهيِّةِ أو المنطِقيَّةِ أو اللُّغَويّةِ، التي قِوامُها الأسئِلَةُ وأجْوبتُها، وهيَ أَوسَعُ مِن المفْهومِ الذي ذَكَرَهُ المحدَثونَ لهذِهِ «المطارَحَةِ»؛ إذ نَرى عَبدَ الله البستانيَّ يُعرِّفُها بِقولِهِ: «طارَحَهُ الشِّعرَ والغِناءَ وغَيرَهُ ناظَرَهُ وماتَنَهُ»(٥٣) فلا المناظَرَةُ ولا المُماتَنةُ تَصفُ المطارَحَةَ الشّعرِيّةَ، تلكَ التي غَفَلَ عَنها أَصحابُ المُعجَماتِ، ولم يُسجِّلْها إلا البُستانيُّ. فالمناظَرَةُ تَحمِلُ مَعنى الجَدَلِ، والسَّعْيِ لإثباتِ الحُجَّةِ، وهيَ أعلَقُ بمسائِلِ البَحثِ، ولئِنْ اندَرَجَتْ بَعضُ المطارَحاتِ الأدَبيّةِ تحتَ «المناظَرَة» فإنّ جُلّها على غَيرِ ذلكَ. والمُماتَنَةُ لَيسَتْ بِبعيدَةٍ مِن المُناظَرَةِ، فـ«المطارَحَةُ الأدَبِيّةُ» أَبعَدُ مأخَذًا وأوسَعُ مَدًى مِن المُساجَلَةِ والمناظَرَةِ والمُماتَنَةِ، وَيَربِطُ بينَ المتَطارِحِينَ مِن الوَشائِجِ والعَلائِقِ ما لا يَربِطُ بين المتَناظِرينَ والمُتَماتِنينَ.

وَقد ذَهبَ رِينهارَت دُوزِي «بالمطارَحَةِ» الأدَبِيَّةِ مَذهبًا بَعِيدًا، إذ المطارَحَةُ عِندَه(٥٤): «ما يَتبادَلُهُ الأدَباءُ وَيَتَراسَلونَهُ مِن رَسائِلَ وأشْعارٍ»، وهذه دائِرَةٌ مُنداحَةٌ، قَد تَفُوقُ المعنى الأدَبيَّ لِلمطارَحَةِ في كَثيرٍ مِن وُجوهِها، وإنْ كانتْ

(٥٢) انظر كشف الظنون: ١/ ٦٨٧.

(٥٣) البستان: «طرح» ويقال: ماتَنَ فلانٌ فلاناً إذا عارضه في جَدَلٍ أَو خصومة.

(٥٤) تكملة المعاجم العربية: «طرح».

أقرَبَ التّعرِيفاتِ لمفهومِها. وأبعَدُ مِن هذا ما جاءَ في المُعجَمِ الأساسِيِّ؛ إذ هيَ فيه(٥٥): «طارَحَهُ الشِّعرَ، جاءَ مِن مَحفُوظِهِ بِشعْرٍ، يَبنِيهِ على ما ذَكَرَ فلانٌ مِن الشِّعرِ». فَهوَ تَقْييدٌ بـ«المحفوظِ»، وفيها التباسٌ، وليسَ هذا مَسلَكَ «المطارَحَةِ الأدبيّةِ» كَما عَلِمنا.

وَقد خَصَّصَ – مِن المعاصِرينَ- حَسن محمد نور الدّين مُصنَّفًا في «المطارَحاتِ الشِّعريةِ في جَبَلِ عامِلٍ»، وهيَ على حَدِّ قَولِهِ(٥٦): «تَدلُّ على المُشارَكَةِ؛ أيْ الأخذِ والعَطاءِ وتَبادُلِ الكَلامِ والتّحاوُرِ والتّناظُرِ، وَمِن ثمّ التّراسُلِ والإلقاءِ والتّلقّي، ويمكنُ أنْ يَكونَ ذلكَ بينَ اثنينِ أو أكثرَ في مَجلسٍ أو غيرِ مجلسٍ، شَرطَ أنْ يجمعَ بينَ المتَطارِحينَ مَوضوعٌ مُعَيّنٌ وَنَتِيجَةٌ مُعَيَّنَةٌ». وهذا حَدٌّ رَكِيكٌ مُضَبَّبٌ لِلمُطارَحَةِ الشعرية، يَشِفُّ عَن مَفهومٍ غَيرِ واضِحٍ لها. وهوَ مَحشُوٌّ بالألفاظِ العامَّةِ، كَتبادُلِ الكَلامِ والإلقاءِ والتّلقّي، وَشرْطُ الموضوعِ المعَيّنِ لا وَجهَ لهُ؛ فلا تَطارُحَ في غِيابِ هذا الشَّرطِ أصلاً، أمّا النّتيجةُ المعيّنةُ التي ذَكَرَها فَما نَدري ما يَعني بها، وأيُّ نَتيجةٍ هذهِ التي تَكونُ في المطارَحَةِ؟! وقد خَصَّصَ محمد علي الحوماني في مجلّة «العُرُوبة»(٥٧) بابًا بِعنوانِ «المطارحاتِ»، وهو يَحوي مُساجلاتٍ ومطارَحاتٍ أَدَبِيّةً وَنَثرِيّةً بَينَ الأدَباءِ.

(٥٥) المعجم الأساسي: «طرح».

(٥٦) مطارحات شعرية في جبل عامل: ٥٢.

(٥٧) الحركة الأدبية والفكرية في جبل عامل: ٢٩٢، ومطارحات شعرية في جبل عامل: ٥٢.

وَمن المصطَلَحاتِ التي شاعَت على أَلسِنةِ المحدَثينَ وأَقلامِهِم «مُطارَحَةُ الغَرامِ»، وَمُرادِفُهُ «مُطارَحَةُ الحُبِّ»، وَهوَ مَعنًى شائِعٌ ذائِعٌ عِندَهُم، يجمعُ معانيَ الغَزَلِ والنَّجْوى وبثِّ الشّوقِ وما إليها، ممّا يكونُ من الشأنِ بينَ المحبِّينَ. وهوَ مُصطلَحٌ عَرَفَهُ المتَأَخِّرُونَ، وإنْ لم يَشتَهِرْ اشتِهارَهُ عِندَ المحدَثينَ، فَقد ذَكَرَ ابنُ حِجَّةَ الحَمَوِيّ(ت٨٣٧هـ) في «خِزانَةِ الأدَبِ»[٥٨]:

قامَتْ تُطارِحُني الغَرامَ جَهالَـةً مِـن دُونِ صَـحْبي بـالحِمَى وَرفاقِـي

وَذَكَرَ المقَّرِيّ في مَعناه[٥٩]:

وَفاضَتْ دُمُوعِي مِثلَ فِيضِ دُموعِها أُطارِحُهـا تِلـكَ الـصَّبابَةَ والوَجْـدا

وَجاءَ في سِلْكِ الدُّرَرِ لِلمُرادِي(ت١٢٠٦هـ)[٦٠]:

فُـؤادٌ لِتِلقـاءِ الأحبَّـةِ قـد صَـبا يُطارِحُ بالأشواقِ مَن نَحْـوَهُم صَـبَا

وَقد أَثبَتَ المُعجمُ العَربيُّ الأساسِيُّ هذا المعنى، وَجاءَ فيه[٦١]: «طارَحَهُ الغَرامَ: بادَلَه الحبَّ»، كَما أثبَتَهُ «المُنجِدُ»، وَجبران مسعود في مُعجَمِهِ «الرائد»[٦٢].

وَنجدُ المطارحةَ شائعةً في مُصنَّفاتِ الكُتّابِ المعاصِرينَ، وَمن ذلكَ:«حِوارٌ وَمُطارَحاتٌ»، و«مُطارَحاتٌ في الفِكرِ المادِيِّ والفِكرِ الدّينيِّ»، وَ«مُطارَحاتٌ فِكرِيَّةٌ في المسْأَلَةِ الشَّرْقِيَّةِ»، و«مُطارَحاتٌ في المعْرِفَةِ الإيمانِيَّةِ عِندَ النّورَسِيِّ»،

(٥٨) خزانة الأدب لابن حجّة الحموي: ٢٦٦.

(٥٩) نفح الطيب: ٤/ ١٣٩.

(٦٠) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر: ٢/ ٢٩٠.

(٦١) المعجم العربي الأساسي: «طرح».

(٦٢) المنجد والرائد «طرح».

و«مَطارَحاتٌ في فَنِّ القَولِ»، و«جاذِبِيَّةُ الحدَاثَةِ وَمُقاوَمةُ التّقلِيدِ، مُطارَحاتٌ في الفِكرِ الفَلْسَفيِّ المَغرِبيِّ المُعاصِرِ»، و«الرُّؤيَةُ المزدَوِجَةُ، مُطارَحاتٌ نَقدِيَّةٌ في التُّراثِ والحَدَاثةِ»، و«مُطارَحاتُ مِيكَافيلي»،... .

وَقد تميّزَ أحمد صدقي الدَّجَاني مِن هؤلاءِ في مُصَنَّفِهِ «حِوارٍ وَمُطارَحاتٍ» بأنّهُ حاولَ الوُقوفَ على مَعنى «المُطارَحَةِ»، فَفَزِعَ إلى المُعجَماتِ، وَلَعَلَّهُ فُوجِئَ بخلُوِّها مِن هذا المُفهومِ الذي هُوَ في صَدَدِ التّأليفِ فيهِ، فَجاءَ بِعباراتٍ مُلفَّقَةٍ ممّا رَأينا في المُعجَمات، مِن قَبيلِ «الطَّرحِ: الإلقاءِ، وَطَرَحَ عَليهِ المسأَلَةَ ألقاها...» ممّا لا يمتُّ إلى ما يَرمي بِسَبَبٍ مُقنِعٍ(٦٣).

وَلعلَّ أَصلَ هذا المعنى عِندَ المحدَثينَ أنّهُم ضَمنَّوا «طَرَحَ» مَعنى: عَرَضَ، والمحدَثونَ يَستعملون هذا التّضمينَ كثيرًا في كَلامِهم وكِتاباتِهم، مِن مِثلِ: طَرَحَ القَضِيَّةَ، وَطَرَحَ المسأَلَةَ، والأمْرَ... . وَقد سَجّلَ هذا المعنى المُعجَمُ الأساسَيُّ(٦٤)؛ إذ جاء فِيهِ: «طَرَحَ القَضيَّةَ لِلبَحثِ والمُناقَشَةِ عَرَضَها»، كَما جاءَ في المُنجِدِ: «طَرَحَ عليهِ المسأَلَةَ عَرَضَها»(٦٥). فَمَعنى «المُطارَحَةِ» على هذا يَأخُذُ وَجهًا جَدِيدًا إنما هوَ المشارَكَةُ في عَرضِ قَضيَّةٍ فكريّة أو اجتِماعيّةٍ ما، والحِوارُ فيها، وَلعلَّ ما يُؤَكِّدُ هذا أنَّهم يَستعملون لِلمُطارَحَةِ مُرادِفًا آخرَ، ألا وَهوَ «الطُّروحاتُ» وَهيَ قَرِيبةٌ مِنها واستعمالها ذائِعٌ شائِعٌ.

(٦٣) حوار ومطارحات: ١٢.

(٦٤) المعجم الأساسي: «طرح».

(٦٥) المُنجِد: «طرح».

خُلاصَةٌ وخاتمَةٌ:

وَيُمكِنُنا أنْ نَخلُصَ مِن هذا البَحثِ إلى أنَّ مَفهومَ «المُطارَحَةِ» تَقَلَّبَ مُنذُ ظُهورِهِ- فِيما وَقَعتُ عَليهِ - مَعدولاً بِهِ، وَمُنْحَرِفًا عَن أَصلِهِ اللّغوِيِّ على سَبيلِ الاصطِلاحِ على ثمانِيَةِ أَوْجُهٍ:

أَوَّلُها: المفهومُ المبْنيُّ على المُصطَلَحِ **الغِنائِيِّ**، وَهوَ - على الأغْلَبِ- أَقدَمُها.

ثانِيها: مَفهومُ **المُشاقَّةِ والمُخاصَمَةِ**.

ثالثُها: المعنى الفَرِيدُ الذي وَجدَناهُ عِندَ التَّوحِيديِّ في «الإمْتاعِ المؤَانَسَةِ»، وَيَقومُ على **بَثِّ ما في النَّفسِ والإفْصاحِ عنهُ**، ولم تُسَجِّلْهُ المُعجَماتُ.

رابِعُها: مَفهومُ **مُدَاوَلَةِ العُلومِ، وَمُراجَعَتِها، والامتِحانِ فِيها مِن طَرِيقِ السُّؤالِ**، وَلَعَلَّ عُلومَ الفِقْهِ كانَتْ آثرَ بِهِ، وإنْ شارَكَت اللّغَةُ المَنْطِقَ في بَعضِ هذهِ المُصنّفاتِ.

خامِسُها: **المَفهومُ الأدَبِيُّ** الذي استَأثَرَ بِهِ الشِّعرُ بِوَجْهٍ خاصٍّ، وَأَقَلُّ مِنهُ النَّثرُ.

سادِسُها: المَفهومُ الذي شاعَ في العَصرِ الحاضِرِ، وإنْ استَعملهُ المتَأَخِّرونَ، وَهوَ **مُبادَلَةُ العاطَفَةِ القائِمَةِ على الحُبِّ والوُدِّ**، وهوَ المَوْصوفُ بِـ«**مُطارَحَةِ الغَرامِ**» أو «**مُطارَحَةِ الحُبِّ**».

سابِعُها: ما سجّلتهُ بَعضُ المُعجَماتِ الحَدِيثَةِ مِن مَعنى «**المُحاوَرَةِ والمُبادَلَةِ**»، وهيَ أَعمُّ مِنَ الحِوارِ القائِمِ على السُّؤالِ، وَهوَ يمتُّ بِسَبَبٍ إلى المَفْهومِ السَّابِقِ، وإن كان أوسعَ منه.

ثامِنُها: وَهوَ يَمُتُّ أيضًا إلى المفهومِ السّابقِ بِصِلَةٍ مَتِينَةٍ، وإنِ كانَ مُصطلَحًا مَخصوصًا. وَقد رَأيناهُ في مُصنَّفاتِ المُحدَثينَ، كَما أَلفَيناهُ بِصيغَةِ الجَمْعِ، وَقِوامُهُ **الحِوارُ وَعرضُ الأفكارِ وَمناقَشتُها في قضايا فِكريّةٍ أو اجتِماعِيّةٍ مُعَيَّنَةٍ**، وَهوَ -كَما ذَكرْنا- قائِمٌ على تَضمِينِ «طَرَحَ» مَعنًى جَدِيدًا.

على أنّ جُلَّ هذهِ المعاني – عِندَ التَّحقِيقِ- إنما هِيَ مجازٌ على المَفهوم الغِنائِيِّ لِلمُطارَحَةِ. وقد تَبدو هذهِ العَلاقَةُ ساطِعَةً في مَعنى بَثٍّ ما في النّفسِ، أو مُطارَحَةِ الغَرامِ، أو خافِتَةً تَلَوحُ مِن بَعيدٍ كَما هِيَ في مَفهومِ المشاقَّةِ والمُخاصَمَةِ، والمفهومِ الأدَبيِّ.

فإذا انقَلبْنا إلى المُعجَماتِ وَجَدنا أنَّ القَدِيمةَ مِنها سَجَّلَتْ مِن هذهِ المعاني ثَلاثَةً: **المعنى الغِنائِيَّ**، والمعنى القائِمَ على **طَرْحِ الأسئِلَةِ**، والثالِثُ لم تُبَيِّنْهُ صَراحَةً، وَرَأْينا الخَلْطَ فِيهِ، وَهوَ القائِمُ على **المُخاصَمَةِ والمُشاقَّةِ**. أمّا مُعجَماتُ المحدَثينَ فَقد سَجّلَتْ ثَلاثَةَ مَعَانٍ زِيادَةً: المعنى القائِمَ على **المفهومِ الأدَبيِّ**، والثّاني **المحاوَرَةَ والمبادَلَةَ**، وأمّا الثّالثُ **فيختَصُّ بالعاطِفَةِ**. وَمَعْنيانِ لم تُسجّلْهُما المُعْجَماتُ القَديمةُ ولا الحَدِيثَةُ، وَهُما: المفهومُ الذي يَقومُ على **بَثِّ ما في النَّفسِ**، وقد رَأيناهُ عِندَ التَّوحِيديِّ، والآخرُ المفهومُ الذي يَدلُّ على **عَرْضِ قَضيَّةٍ مِن قَضايا الفِكْرِ أو الاجتِماعِ**، والحِوارِ فِيها ومَناقَشتِها. ونجدُ أنَّ مَفهوماتِ «المُطارَحَةِ» الأربَعة الأوائل لا تَكادُ تُستعمل على ألْسِنَةِ المُحدَثينَ ولا أقلامِهِم، وذاعَت الأربَعَةُ الباقِيَةُ.

ومِن عَجَبٍ، بَعدَ ذلكَ كُلِّهِ، أنّ المعنى الأدَبيَّ للمطارَحَةِ، وهوَ الذي يَكادُ يكونُ عَلَمًا على هذا المصطلحِ، لم تُسجِّلْهُ إلا بَعضُ المُعجَماتِ الحَدِيثَةِ.

وَبَعدُ، فإنَّ هذا البَحثَ الذي جَلَّى مُصطَلَحًا مغْمُورًا مِن مُصطَلَحاتِ التُّراثِ، إنما هُوَ أَيضًا لَبِنَةٌ منزويةٌ مِنْ لَبِناتِ المُعْجَمِ التّارِيخيِّ المَنشُودِ، وَأرْجو أَنْ أَكونَ قَد بَيَّنْتُ شَيئًا مِن وُجُوهِهِ واستعمالاتِهِ عِندَ القُدَماءِ والمُحدثينَ، وأنْ أَكونَ بَلَغْتُ في تَجْلِيَتِهِ مَقْنَعًا وَرِضًى.

والحَمْدُ للهِ أَوْلاً وآخِرًا.

المصادر والمراجع

- **الأغاني**، تحقيق سمير جابر، دار الفكر،ط١، ١٩٨٦م.
- **الإمتاع والمؤانسة**، أبو حيّان التوحيديّ، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- **البديع في نقد الشعر**، أسامة بن منقذ، تحقيق: عبد آ. مهنا، دار المكتبة العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- **البيان والتبيين**، أبو عمرو الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي.
- **تاريخ الموسيقا العربية حتى القرن الثالث عشر الميلادي**، هنري جورج فارمر، تعريب جرجيس فتح الله المحامي، دار مكتبة الحياة.
- **تاريخ الموسيقا في الجزيرة العربية والأندلس**، جوليان ريبيرا، ترجمة الحسين الحسن، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث «المجمع الثقافي»، ط١، ٢٠٠٨م.
- **تكملة المعاجم العربية**، دوزي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٢م.
- **جاذبية الحداثة ومقاومة التقليد**، مطارحات في الفكر الفلسفي المغربي المعاصر، محمد الشيخ، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، دار الهادي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- **جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م.
- **الحركة الأدبية والفكرية في جبل عامل**، محمد كاظم مكي، دار الأندلس، ط٢، ١٩٨٢م.
- **حقيقة تاريخ المشرق مطارحات فكرية في المسألة الشرقية**، زكريا كايا، منشورات الجبهة الشرقية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
- **دائرة معارف القرن العشرين**، محمد فريد وجدي، دار الفكر، بيروت.
- **الرؤية المزدوجة**، مطارحات نقدية في التراث والحداثة، نسيم محمد الصمادي، الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، الرياض، ١٩٨٧م.
- **رسائل الجاحظ**، مكتبة الخانجي، القاهرة، تحقيق عبد السلام هارون.
- **مركز دراسات فلسفة الدين**، بغداد، دار الهادي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- **المطارحات الشعرية قوانينها**، ومعجمها الشعري، دار الضياء للنشر والتوزيع، أحمد الجدع، ط١، ١٩٨٤م.
- **مطارحات شعرية في جبل عامل**، حسن محمد نور الدين، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

- **مطارحات في الفكر المادي والفكر الديني**، محمد مهدي شمس الدين، دار التعاون للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٦م.
- **مطارحات في المعرفة الإيمانية عند النورسيّ**، أديب إبراهيم الدباغ، مركز الكتاب للنشر، مصر، ط١، ١٩٩٧م.
- **مطارحات في فن القول**، محي الدين صبحي، اتحاد الكتب العرب دمشق، ١٩٧٨م.
- **مطارحات ميكافيلي**، نيقولا ميكافيلي، ترجمة حماد خيري، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩م.
- **معجم الموسيقا العربية**، حسين محفوظ، مطبعة دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٤م.
- **موجز تاريخ الموسيقا والغناء العربي**، صبحي أنور رشيد، ط١، بغداد، دار الشؤون الثقافية، ٢٠٠٠م.
- **الموسيقا العربية** سيمون جارجي، ترجمة جمال الخياط، دار الشؤون الثقافية بغداد، ط١، ١٩٨٩م.
- **الموسيقى والغناء عند العرب**، أحمد تيمور، لجنة نشر المؤلفات التيمورية، ط١، ١٩٦٣م
- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، أحمد بن محمد المقّري، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٩٦٨م.
- **نهاية الأرَب في فنون الأدب**، تحقيق محمد مروة ويوسف الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

المخطوطات:

- **قواعد المطارحة**، الحسين بن بدر بن إياز بن عبد الله البغدادي، ثلاث صور محفوظة في مركز المخطوطات في معهد إحياء التراث التابع لجامعة أم القرى، والتوثيق من النسخة الأصل، وهي نسخة محفوظة في دار الكتب المصرية برقم ٢٢.

المجلات

مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة.

مجلة المنار ٩ إبريل ١٨٨٩م، مجلد ٣٥.

مجلة الجامع الإسلامية، المدينة المنورة.